هوامش

كثرت المبادرات، بعد انفجار مرفأ بيروت، في أغسطس/ آب الماضي، التي تستهدف السكان أنفسهم، فتحاول أن تزيل عنهم بعض آثار التجربة القاسية. إحدى المبادرات يقودها مهرجون

عروض ممتعة (العربي الجديد)

مهرجون في بيروت

محاولة زرع ابتسامة بعد انفجار المرفأ

بيروت ـ **ملاك مكي**

في العاصمة اللبنانية بيروت المتضررة من جراء انفجار الرابع من أغسطس/ آب الماضي، الذي دمر مرفأها وجزءاً من شوارعها ومبانيها، ترتفع بالونات وأشرطة ملونة، وتنتشر، وإن للحظات قصيرة، بضحكات وابتسامات، وثياب مزركشة، وحركات بهلوانية مضحكة. فقد نظّمت فرقة «كلاون إن مي» في أكتوبر/ تشرين الأول وسبتمبر/ أيلول الماضيين عروضاً تهريجية في شوارع بيروت المتضررة، مثل الكرنتينا والأشرفية وغيرهما، في محاولة منها لإضحاك السكان صغاراً وكباراً، وتسليتهم لفترة زمنية قصيرة. يمتد العرض المجاني لأربعين دقيقة، ويتابعه ما بين عشرين ومائة شخص، مع الالتزام بالإجراءات الوقائية ضد فيروس كورونا. وتستمر الفرقة، اليوم، بعد انتهاء عروض الشارع، بتنظيم ورش عمل خاصة بالدعم النفسي- الاجتماعي، موجهة للأشخاص المتضررين من الانفجار، وللاجئين، والعمال المهاجرين في لبنان، وهو ما يساعدهم في تخطي الأزمات التي يمرون بها.

تقول المهرّجة، مؤسسة الفرقة، سابين شقير، إنّ الناس يحتاجون إلى الضحك، وهم متعطشون لأمور ايجابية، بالرغم من كلّ التشاؤم والحزن اللذين يلفّان المدينة بلونها الرمادي. تتابع أنّ الضحك يساعد الأشخاص على المستوى النفسي، في الشعور بالراحة وفي الاسترخاء، وفي الشعور بأمل، وإن ضعيفا، وفي تخطي الصعاب. وكما يتخطى الأولاد الصغار المشاكل من خلال اللعب، يمكن أيضاً أن يساعد اللعب والتهريج الكبار أنفسهم في تخطي بعض الأزمات.

تتابع شقير قائلة لـ«العربي الجديد»: «نبدأ بالتجوّل في أحد الشوارع، ثم ندعو الأشخاص للانضمام إلينا من خلال حركات مفرحة ومزركشة، وبعدها نبدأ بالعرض التهريجي، الذي يحمل أيضاً كثيراً من الرسائل التوعوية كالمحافظة على النظافة الشخصية، وغسل اليدين، والصحة العامة والبيئة، وإعادة التدوير وغيرها. ويتقبّل الأفراد هذه العروض، ويشاركون فيها بالرغم من كلّ المآسي التي يعيشونها». تتذكر شقير تعليقات بعض المتابعين للعرض: «هذه التعليقات هي أجمل ما حدث بعد الانفجار: أنا في حاجة لأن أضحك وأعبّر عن الحزن الذي في داخلي، وفي ذاتي». وتذكر شقير أنّ إحدى الفتيات الصغيرات كانت تجد صعوبة في الكلام بسبب صدمة الانفجار، لكنّها بعد متابعة العرض التهريجي، تكلّمت بسهولة مجدداً، وأخبرت والديها بمجريات العرض بعدها. تقول شقير إنّ هذه العروض لا تهدف إلى أن يتقبّل الأشخاص ما حدث في هذه المدينة، فهي ترفض أن تتقبّل أو أن تقبل بما حدث، لكنّ هذه العروض توفّر بعض لحظات الضحك والفرح التي يحتاجها الأشخاص لكي تستمرّ الحياة بالرغم من سوداوية المعاش.

يشارك هشام أسعد، وهو واحد من ستة مهرجين، بالعرض. هو يرقص على وقع الموسيقى والتصفيق، كما يبدأ الصغار بالرقص أيضاً، وقد ينضم إليهم الكبار. يقول أسعد لـ«العربي الجديد»: «ونحن نرقص على جوانب أحد الطرقات، انضمت إلينا سيدة ورقصت، ثم تابعت طريقها نحو منزلها المتضرر من جراء الانفجار». يشير أسعد إلى هذه اللحظة التي يحاولون نسجها بالرغم من الواقع المحزن والأليم، فمن حق الجميع أن يضحك، وإن لفترة قصيرة، كما يقول، ما قد يساعد البعض في عيش التجربة ومقاربتها بشكل مختلف. ويتابع أسعد أنّ دورهم كمهرجين لا يقتصر على لعب بعض الموسيقى، أو صنع الضجة، بل يتعداه لأن يكونوا إلى جانب الأشخاص المتضررين بدعم نفسي واجتماعي، خصوصاً أنّ المهرّج يتواصل بشكل سريع وشفاف مع الأشخاص من دون حواجز، في محاولة لإضحاكهم من الأحداث أو المآسي التي يعيشونها أو يمرّون بها.

منذ عام 2006 (وقع العدوان الإسرائيلي على لبنان في يوليو/ تموز وأغسطس/ آب من ذلك العام) تقوم شقير بجولات عروض تهريج في لبنان والخارج، في بلدان وأماكن تعيش أزمات إنسانية أو كوارث طبيعية أو حروبا وغيرها. وقدّمت شقير مع فريق «مهرّجون بلا حدود» الدولي عروضاً عدة أمام فئات متضررة أو مهمشة من نازحين ولاجئين وناجين من كوارث أو حروب في مختلف أنحاء العالم. ولاحظت شقير، باختلاف درجات الحزن أو المصائب، أنّه يمكن دائماً إضحاك الناس أو منحهم لحظة فرح وتسلية من خلال عروض فنّية جميلة تشعرهم ببصيص أمل. وربّما قد يجد البعض في المهرّج ثيابا ملونة، أو حركات مضحكة تناسب أجواء أعياء الميلاد المخصصة للصغار، لكنّ شقير توضح أنّ التهريج فن واختصاص جامعي، وكانت قد تابعت شقير دراستها على مرّ سنوات عدة في لبنان ولندن. كذلك، تشير إلى أنّ التهريج رسالة، وله بعد اجتماعي ونفسيّ. ويتمتّع المهرّج بقدرة كبيرة على التواصل مع الأشخاص في الشارع إذ يكون حقيقيّاً وشفّافاً، وفي اتصال مباشر ومضحك مع المجتمع.

وبدأ العالم العربي، وفق شقير، يتقبّل أكثر فنّ التهريج والعروض المقدمة، وأصبح أكثر تقديراً له ولما يحمله من معانٍ وأهداف. وتجدر الإشارة إلى أنّ الفرقة تتولى حالياً تدريب عشرة مهرجين جدد على فنّ التهريج وأدواته وخصائصه، ما يوفر فرصة للأشخاص المهتمين بهذا المجال في اكتساب المهارات اللازمة وخوض تجربة جديدة، ما يساهم بانتشار أكبر لهذا الفنّ في لبنان.

ويشير أسعد إلى أنّ التفاعل مع العروض يختلف بين الأشخاص، فكلّ شخص يتجاوب وطريقته مع العرض، لكنّه يبقى ممتعاً للصغار والكبار. ويضيف أنّها من المرات القليلة التي تنظم فيها الفرقة عرضاً في بيروت، إذ إنّ عروضها المعتادة هي في بعض المخيمات أو الأماكن التي تشهد مشاكل اجتماعية عدة: «ولم نتخيّل يوماً أنّ المصيبة ستكون في مدينة بيروت، وأنّ دورنا سيكون في خلق بعض لحظات الفرح في هذه المدينة المنكوبة».

«كأنّ الحزن معشش في الحجر، وكأنّ مراسم العزاء تجوب أرجاء المدينة، وكأنّ المدينة رمادية، وكأنّ هالة الحزن تلفنا» هذا ما تشعر شقير به وهي ترقص، وتصفّق، وتغني مع أطفال المدينة وسكانها، وهي تحاول أن تلوّن وجهاً أو سماء، أو مدينة.

باختصار

يمكن دائماً إضحاك الناس أو منحهم لحظة فرح وتسلية من خلال عروض فنّية جميلة تشعرهم ببصيص أمل

■■■

بدأ العالم العربي يتقبّل أكثر فنّ التهريج والعروض المقدمة، وأصبح أكثر تقديراً له ولما يحمله من معانٍ وأهداف

■■■

التفاعل مع العروض يختلف بين الأشخاص، فكلّ شخص يتجاوب على طريقته، لكنّه يبقى عرضاً ممتعاً للصغار والكبار

وأخيراً

الصحافةُ إذ تترهل وتشيخ

نجوى بركات

في الصَّحافة، عملتُ طويلا. منذ سفري إلى باريس لمتابعة دراستي الجامعية، اعتشتُ بشكل أساسيّ من العمل الصحافيّ. كنت أراسلُ مجلاتٍ شهرية، وجرائد يوميّة، وأعدّ مجلات إذاعية، إلخ، في لبنان أولا، ثم في بلدان عربية وأجنبية، وأذكر جيّدا كم كنتُ أشقى لكسب مبالغ قليلة، لأن الاستكتاب لم يكن يوما ذا مردود ماديّ مرتفع، ثم إني كنتُ في بداياتي، وكان هذا برأيي طبيعيًا ومشروعًا. كتبتُ في الصفحات الثقافية على وجه التحديد، في أبواب المسرح والسينما والأدب بالذات، وكنت أجري مقابلاتٍ مع كتّاب معروفين، عرب و أجانب، يهمّون القارئ العربي، من أمثال: أندريه شديد وألبير قصيري وباولو كويلو، وسواهم من صانعي الحدث الثقافي في باريس. وكنت أغطي الإصدارات والأنشطة الأجنبية أكثر من سواها، بحكم وجودي في عاصمة الأنوار. أذكُرُ كم كنتُ أتهيّب من لقاء الأدباء وكبار الفنّانين، فلا أكتفي بمشاهدة عملهم أو قراءة إصدارهم الجديد، موضوع المقابلة، بل أعود إلى إصداراتهم وأعمالهم السابقة لتحضير نفسي، وأسئلتي، وكان ذلك أمرا بديهيا بالنسبة لي، ضريبة ومكافأة في آن. بعد إتمام المقابلة، كنتُ أعود إلى تفريغ الشريط المسجّل، ثم إلى تبييضه وتحريره، فلم أكن أسمح لنفسي أن يفوتني أيّ كلامٍ أو أسلوب تعبير، مخافة ألا أكون أمينةً في نقله. كنتُ أحمل مسجّلتي الصغيرة (أو الكبيرة جدا للمقابلات الإذاعية)، وأبقى مرعوبةً أن يُصيبها عطلٌ ما خلال اللّقاء، فأعود خائبة، خالية الوفاض، وقد هدرت سدىً وقتَ سيّد المقابلة ووقتي.

سنوات طويلة، رافقتني الصحافة، وفتحت ذهني، وعلّمتني الإصغاء، ووفرت لي صداقات رائعة، لكني أقرّ أني لم أتعلّق بها وكنت أتمنى دائما الفكاك منها، لأنها كانت تسرق من جهدي ومن وقتي كثيرًا، كنتُ أتمنّى لو أستطيع تخصيصه للكتابة دون سواها، وما يرفدها من قراءات.

اليوم، وبعد أن قطعتُ ما قطعته روائيةً ومؤسّسةً لمحترف للكتابة ونشر الكتّاب الشباب، صرتُ بدوري «موضوعا صحافيا»، إذ يُكتب عن أعمالي وتُجرى معي مقابلات مقروءة ومصوّرة، وأُسأل عن رأيي في كذا وكذا. بيد أنّ ما ألاحظه، منذ فترة ليست قصيرة، هو نوع من الترهّل والتراخي في هذه المهنة الكبيرة والمهمّة التي لطالما عُرفت بأنها سلطة رابعة يُحسب لها ألف حساب. أتحدّث هنا عن الصحافة الثقافية التي أعرف، تلك التي تنقد وتنقل وتعلّق على كل ما يجري ثقافيا، وتشكّل نوعا من المنارة لجمهورها من القراء. ومع احترامي الكامل لأسماء كبيرة ما زالت تشرّف بنتاجها هذه المهنة، فإن الأغلبية العظمى من الكتَبة والمستكتَبين الذي يملأون يوميا مئات الصفحات الورقية والإلكترونية بكتاباتهم، ينشرون من دون أي شعور بالمسؤولية، أو جهد حقيقي، أو حرص على احترام عقل القارئ واحترام ذواتهم. بل باتت كتابات الأكثرية فاقدة الطعم، هشّة، لا تأتي بجديد، بحيث يبدو كلُّه مسلوقا، مجترّا، يشي بالقِدَم أكثر مما يعبّر عن جديد. هذا وثمّة سلوك درج أخيرا، ولا علاقة لجائحة كوفيد به، وذلك على الرغم من تكاثر وسائل الاتصال التي تمكّن الصحافيّ من مقابلة ضيفه، ولو كان بعيدا وموجودا في أقاصي الأرض: كأن يُرسل الصحافي أسئلة عامة، تفضح عدم قراءته النتاج موضوع المقابلة، طالبا الردّ كتابيا، لكي يكتشف من أجريت معه المقابلة من ثم أن إجاباته قد حُوّرت، أو نُسّقت، بشكلٍ يوحي أن الصحافيّ هو من صاغها وحرّرها ليبرّر ما سيناله لقاءها من مكافأة؛ أو كأن يُطلب من الأديب أن يكتب في موضوعٍ معيّن، مقالة كاملة، موسّعة، يوقّعها هكذا ومن دون أيّ مقابل، وهو ما لا يحصل في أي مكان آخر في العالم. وقد يقول قائل إن هذا ذنب الصحف والمواقع التي تدفع القليل لقاء العمل الصحافي بشكل عام، لكننا سنجد أنفسنا والحال هذه، مأخوذين في حلقة بائسة، مفرغة، لن تنتهي بنا إلا إلى مزيد من الخواء واللامعنى.

> كتابات الأكثرية فاقدة الطعم، هشّة، لا تأتي بجديد، بحيث يبدو كلّه مسلوقاً، مجترّاً، يشي بالقِدَم أكثر مما يعبّر عن جديد

ومع تقديم اعتذاري المسبق لمن يظلمه هذا الكلام، يجدر أن أوضح أني لستُ أتّهم أشخاصًا بعينهم، أو أفرادًا مأخوذي الأطراف في شِباك الحياة وصعوبة تحصيل الرزق، وإنما سلوكًا ثقافيًا سمّم عالمَ الصحافة، بمثل ما سبق له أن أفسد مهنًا سامية أخرى.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**